بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين

بعض الروايات تصف شهر رمضان بشهر التوبة، وددت أن أتحدث عن هذا[1]، ولكن أرجو من الأعزة أن يستمعوا للحديث كمسؤولين، فإذا وجدوا الحديث حقا فيتحملوه كحق يتّبع، وإذا وجدوا شخصا يهتم بهذا النمط من المسائل لابد أن ينصرونه ويشعرونه بأنه هو أخ لهم فلا يكونون محايدين، هذه الطريقة المنتشرة في مجتمعنا أن الاستماع يكون للاستفادة الشخصية من دون أي تعهد، من دون تحمل أية مسؤولية، من دون إحساس بأن المستمع هو مسؤول عما يسمعه، هذه الحالة غير طبيعية وإن شاء الله الأعزة لا يتعاملون كذلك

في رواية عن الإمام الرضا (ع) أنه في أواخر شهر شعبان تهيُّئا لشهر رمضان قال (وتب إلى الله من ذنوبك ليقبل شهر الله إليك وأنت مخلص لله عز وجل)[2] لذلك أردت أن أتحدث عن التوبة

التوبة من الأمور المعروفة وفي نفس الوقت مجهولة، لاحظوا في عهد رسول الله (ص) كان هناك صلاة، صيام، حج، زكاة، وواجبات أخرى، ولم تشرَّع بعد رسول الله (ص) شريعة جديدة، المحرمات نفس المحرمات والواجبات نفس الواجبات، لكن في عهد النبي (ص) الصلاة مثلا كان لها تأثير مختلف عن الآن، نحن الآن نعرف الصلاة هي نفس الصلاة من حيث الشكل الفاتحة ثم سورة وركوع وسجود وأذكار، فما هو الذي تغيّر؟ العمل في ظل ولاية رسول الله (ص) كان يؤثر ويؤدي إلى شيء مختلف عن العمل في ظل ولاية أخرى، أريد أن أوضح هذا

الآن بمجرد أن يقال توبة كثير من الناس يأتي ببالهم تصور عن التوبة وهو التوبة عن الذنوب، التوبة هي من الأمور الأساسية في التدين، أنت قطعا في حياتك حصل أن تُبت من بعض الأمور والأعمال، يعني

---

(١) تحدث به السيد محمد علي الباقري حفظه الله ظهر يوم الجمعة بعد صلاة العصر ٢٦ شعبان ١٤٢٣هـ وقد تطوّع بعض الأشخاص بطباعته مع شيء من التصرف نتيجة تحويل الحديث من مسموع إلى مقروء وقد لا يخلو من أخطاء غير مقصودة

(٢) عيون أخبار الرضا (٥٦/١)

تريد أن تتوب منها وقد تنجح أو لا تنجح

نحن ينبغي أن نعرف ونعترف بأن الآن كثيرين منا ليسوا متبعين لأمير المؤمنين (ع) يعني لا يعرفون إمامته حتى يتبعونه في الاتجاه والسبيل الذي يسلكه (ع)، ماذا كان (ع) يريد؟ أو أنهم لا يشعرون بالحاجة إلى معرفة هذه المسائل، يجب أن ننتبه إلى هذه المسألة، لا يكتفي أحد منا بأن يقول: أنا أعيش في بيئة شيعية ومنتسب إليها فإذن أنا إمامي، لا، ليست المسألة بهذا الشكل، حقيقة المؤمن في القرآن الكريم (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ)[٣]، أريد أن أبين الإيمان باختصار

الإنسان له تطلعات –حينما تراجع نفسك تجد أن هذه التطلعات موجودة– من التطلعات مثلا أنك أنت ترغب في العدل، العدل تحبه والظلم لا تحبه، تحب أن ينتشر العدل وتحب أن يزول الظلم، هذا موجود ومخلوق فيك، من الممكن أنك الآن تكون مهملا ولا تهتم فيه لكن هذا موجود خلقه الله في نفسك وخلق فيك تطلعات أخرى بطبيعة الحال، مثلا إذا شخص ثري يملك بيتا فخما فكثير من الناس عندما يرون بيته ينبهرون به وتخضع نفوسهم له وتذل، لكن إذا قيل لصاحب البيت هل أنت تحب أن بيتك يُذل الناس؟ يقول لا والعياذ بالله، هذا معناه أن هذه الحالة مغروزة فيه يعني لا يحب أن يذل النفوس، هذا موجود في كل إنسان

وهناك تطلعات كثيرة مخلوقة في الإنسان لا يطمئن من دون تلبيتها، لكن الشخص يبحث عن الأمن والأمان والاستقرار بصورة خاطئة، أنتم ملاحظين أن هنالك أناسا يلجؤون إلى بعض الأمور التي تعطيهم أمانا زائفا، أما الأمان الحقيقي والطمأنينة الصحيحة أن تدخل لها من الباب الصحيح وهو أنك مخلوق مسؤول لا عن نفسك وأولادك فقط بل عن العالم، أنت في داخل نفسك تتصرف في العالم تحب أن الناس يكونون بشكل معين كما أنت تريد، مثلا حينما تدخل مجلسا تحب أن يكون بشكل معين هذا معناه أن في قلبك في نفسك توجد حالة أنه أنت مسؤول عن الأشياء وتتدخل فيها، لذا أنت نتيجة هذه المسؤولية تتطلع أن تعمل شيئا في هذا العالم، وذكرت في وقت سابق كذلك أن من التطلعات الفطرية في الإنسان أنه

---

[٣] (الحجرات: ١٥)

هو يبحث عن الدين عن وجه الله يعني يعمل شيئا كعبد لله عز وجل، فهذه المسؤولية إذا لم يجد لها الشخص مجالا صحيحا لأن يمارسها فلا يشعر بطمأنينة، إذا لم يجد أن العدل قد تحقق لا يشعر بطمأنينة، إذا لم يجد أن الظلم قد زال لا يشعر بطمأنينة، هكذا هو الإنسان بطبيعته إذا لم يهمل تطلعاته

أنت تبحث عن أمان وطمأنينة يعني إذا رأيت شخصا يحقق العدل الذي أنت ترغب فيه فسوف تنجذب له نفسك وتصبح معه وتنصره وتتمنى أنه ينتصر، هنا تشعر برضا يعني تجد شخصيتك وتجد نفسك، لأن الإنسان إذا رأى شخصا يسعى ليكبّر النفوس لتكون هذه النفوس ذليلة وخاضعة لله وحده فقط، أو يسعى ليجعل النفوس تسمو على الدنيا فالطبيعة البشرية يجذبها السمو على الدنيا، يعني أنت إذا رأيت شخصا لا يهتم بالمال والجاه مثلا فهذا الشخص يكبر في قرارة نفسك وتنجذب له، حتى إذا كنت ثريا ولك جاه هذا الشخص يكبر في نظرك، يعني معناه أنه أنت مخلوق بحيث تنجذب لهذا النمط من الناس، فهنا تشعر برضا بالكون مع هذا النمط من الناس ومستعد أن تنشر كلامه، مستعد أن تنصره ليرتفع صوته، هذا الشيء يحصل بشكل طبيعي ، فهنا تشعر بأمان

إذا قرأت القرآن الكريم وتذكرت كيف كان القرآن مجسّدا في الواقع في عهد النبي (ص) تجد نفسك تنجذب لذلك الوضع والقرآن يؤثر فيك (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ)[٤]، هذا كان موجودا في ظل ولاية رسول الله (ص) تنجذب له فتجد الأمن والأمان بالقرآن يعني معناه تؤمن بالقرآن تؤمن بالنبي (ص) تؤمن بجهاد أمير المؤمنين (ع)، لكن نحن موحى إلينا –بشكل أو آخر– أننا لا نحتاج لمعرفة النبي (ص) والأئمة (ع) وأن هذا المقدار من التدين يكفينا، أما إذا نميّت هذه الحاجة وتعرّفت على إمامة أمير المؤمنين (ع) قلبك يخشع وينجذب يعني معناه أن قلبك مخلوق بحيث يجد الرضا في ما كان يريده أمير المؤمنين (ع)، فأمير المؤمنين (ع) أمّنك أنت بالأمان الذي تعرفه نفسك، يعني تطلعاتك الفطرية تجد استجابة بإمامته (ع)، إذن أنت مؤمِّن نفسك أصبحت ذا أمان، إذن أنت آمنت واشتركت مع أمير المؤمنين (ع) في نفس الأمان، يعني الذي كان يؤمِّنه (ع) أمَّنك أنت كذلك الآن

---

[٤] (آل عمران: ٦٤)

أنا جربت بعض الناس لا يشعرون بالحاجة للبحث عن الأمان الحقيقي الذي تطلبه النفس لأنهم أخفوها ودفنوها (وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا)[٥]، أما إذا كنت تشعر بالحاجة فسوف تجد الأمان الحقيقي بما كان يسعى أمير المؤمنين (ع) لتحقيقه، اقرأ نهج البلاغة ستجد أن أمير المؤمنين (ع) يتطلع ويدفع ويجاهد لإحياء التطلعات الفطرية الموجودة فيك فهو بصورة طبيعية يكون إمامك أنت، هنا بشكل طبيعي تجد الرضا والأمن والأمان به (ع)، وبطبيعة الحال تتمنى وتندفع لتنصره (ع)، أنت إذن مؤمن بإمام، تطلعاتك الفطرية نشطت بدأت تقودك بعد أن اهتدت، ظروفك وضعك هذه الأشياء استطعت أن تتغلب عليها وكبرت عليها، هنا الآن أنت أصبح لك طريق تستطيع أن تقول بصدق (اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ) وتسعى لمعرفته

هنا أنت معرّض لمؤثرات، شهوة، شيطان، النفس الأمارة بالسوء كل هذه الأشياء من الممكن أن تجعلك تغفل عن هذا الهمّ الذي أنت تحمله، لكن لأن شخصيتك أصبحت شخصية مبدئية هادفة شخصية مؤمنة تائبة فهنا هذه الغفلة لا تستمر، والمؤمن الذي آمن بما آمن به الرسول (ص) وصار همه كهمِّ أمير المؤمنين (ع)، آمن بما آمن به أمير المؤمنين وجد الأمن والأمان لتطلعاته في إمامته (ع) قام لهذا، هذا الشخص المؤمن في تلك الرواية المعروفة أن عباد البصري يأتي للإمام الصادق (ع) يقول له (بلغنا أنك قلت ما من عبد يذنب ذنبا إلا أجله الله عز وجل سبع ساعات من النهار فقال ليس هكذا قلت ولكني قلت ما من مؤمن وكذلك قولي)[٦] مؤمن يعني له طريق، لديه هدف كهدف أمير المؤمنين (ع)، دينه (ع) أصبح دينه، همه (ع) أصبح همه لا أنه يتكلف ذلك، هذا الشخص له طريق له متاب الآن، والمؤمن ذنبه محدود من جهة النوع ومحدود من جهة الاستمرار، فإيمانه هو الذي يجعل هذا الذنب لا يؤثر على شخصيته لأن شخصيته شخصية تائبة

نحن مقبلون على شهر رمضان المبارك، شهر التوبة، أرجو أن ننتبه من هذه الغفلة وأن يؤثر هذا الحديث فيك لنصبح معا متناصرين، متعاونين، إخوة ذوي همّ واحد، وليس ذلك على الله بعزيز، وفقكم الله تعالى لمراضيه، والحمد لله رب العالمين

---

[٥] (الشمس: ١٠)

[٦] الكافي (٤٣٩/٢)